(ثُلاثَاء)

الثُلاثَاء بجبروته يحتل العالم، لا أعتقد أن ذلك اليوم يمر بسهولة على جميع البشر، دائمًا هو أكثر الأيام ازدحامًا في الأسبوع، ضوضاء المنبه تثير في قلبي اشمئزازًا وليس هناك دافع للنهوض إلا لو أغلقت المحاكم بابها أبديًا.

على مضض وفي تثاقل يغادر غرفته دون رغبة منه فيلقي نفسه تحت سلطة مياه باردة عله يفيق رغم أن ما بداخله ضجر وليس نعاسًا.

بسرعة وعلى عجل يرتدي ملابسه ويصطحب الجريدة من على الطاولة ومنها إلى الباب يلتقط مفاتيح سيارته ويلقي نظرة على ملابسه في المرآة العتيقة المثبتة على الجدار في مدخل الشقة حتى صارت جزءا منه، ويشرع طريقه المعتاد إلى مكتبه بروتين سخيف معتاد.

السيارة تشق طريقها على مهل أو تثاقل المرض، سيارة أبيه التي تشبه مخلفات الحرب ولا سبيل لتغيرها نظرا لعدم وجود "النية"، هكذا يطلق على كل شيء لا يملك نقوده.

عمارة طويلة ذات سلالم لا تنتهي، من ذلك الطراز الفريد الذي يميز شارع فؤاد (بالإسكندرية)، مكتب محاماة من ثلاث غرف لا يخلو من لمسات حديثة تضفي على المكان رقي العصر الحالي بروح العصر الذي انتهى.

صالة انتظار طويلة لاستقبال الموكلين في نهايتها مكتب تجلس عليه "هند" تجيب اتصالات العملاء وترتب المواعيد وتقوم ببعض المهام البسيطة.

بادلها التحية على عجل متجها للغرفة على يمينه، تلك المغارة شديدة الاتساع بمكاتبها الأربعة، كل مكتب بجانبه أرفف عتيقة مكتظة بالأوراق وكتب القانون ودساتير لا حصر لها، يلقي التحية بسرعة ويسأل عن الجو العام

- صباح الشباب، كيف حال الرومي الكبير؟
- تجيبه "زينب" بصوتٍ عالٍ، سأل عنك البارحة بعد مغادرتك وأجابه "مُحسن" أنك أخذت أوراق قضية "الاختلاس" لتعيد مراجعتها قبل جلسة اليوم، تفطر الباذنجان المقلي والفول مثل "صفوت" أم تنتظر معنا ونطلب دجاجًا مشويًّا على الغداء!
- دجاج مشوي على الريق لا يصح للمرافعة، شطيرتان من البطاطس تكفيان والكثير من الجزر المخلل، سأذهب بعد المرافعة لإصلاح السيارة، إن عاد وسأل قولي إنني مريض بالسهر على القضية، إن سأل من الأساس!
- تدخل "أميرة" بصندوق محكم التغليف، تضعه على مكتب "إسلام" وتقول: لقد أحضره مندوب توصيل بالأمس، واستلمته بالنيابة عنك.

يفتح الصندوق بفضول جم وسط ترقب الجميع، يخرج علبة من القطيفة الزرقاء كاشفًا عن ساعة فضية لامعة من ماركة غالية، ومن بعدها عدة هدايا صغيرة من نوعية عطر رجالي وميدالية وقلم حبر

وكتاب، فضول غريب يجتاحه يحل محل الانبهار، الجميع يبدي تعليقاته ما بين الاستخفاف والتلميح بقصة إعجاب أو التبارك مغلف بالحقد على روعة الحظ، عيون لامعة بين الغيرة والحسد.

مليارات التساؤلات تعصف بعقله، هدية ليس لها أية مناسبة، ولا أحد يعرف محل عملي ليسبقني إلى هنَّا، يفكر بصوت عالٍ والجميع حوله يبطل كل حجة يأتي بها.

- هل يكون موكلًا كسبت له قضية وأراد شكري!! يجيبه "مُحسن" أنت هنَّا منذ أسبوعين فقط، لم تترافع حتى الآن.

-يمكن أن يكون موكلًا من موكليَّ السابقين، ثم يعود ويكرر أن لا أحد يعرف محل عمله الجديد.

- هل يمكن أن تكون لأحد غيري؟! ترد "زينب" أن المندوب قد ذكر اسمه ثلاثيًا.

الحيرة ولا شيء يسيطر على الأجواء، كل أصدقائي لم يحدث أن أهداني أحدهم مثل تلك الهدية، أقاربي إن رأوني صندوقًا لأخذوني بعنف، غير أن ليس هناك حدث أو سبب أو مناسبة لتلك الهدية.

ساعة وساعتين وثلاثة وأربعًا ثم خمسًا يعمل بعقل غائب، صدره يغلي من الفضول وشعور امتنان رهيب والساعة في يساره تسارع دقات قلبه وتذكره بغائب لا يعرفه لكنه منشغل بأمره.

لم يستطع التركيز، تأكد من محتويات الصندوق مرة ثانية وربت على الساعة في معصمه وهرع إلى السيارة ومنها لساحة محكمة الإسكندرية،

لا يمكن أبدًا التركيز في تلك الأجواء، يعتصر ذاكرته للوصول لصاحب الهدية، يعاود النظر في الأوراق التي أمامه وبحركة عبثية يقلب محتويات الصندوق.

ينتشله من ثورات أفكاره صوت حذاء بغيض، اقتراب الصوت إليه يعني أن صاحبه يقصد مكانًا قريبًا منه، اللعنة على نساء الأرض بضجيج وسامتهم، صوت أنثوي رقيق ينادي باسمه، يستحيل أن يكون أستاذ جابر عبد المقصود صاحب القضية، يرفع رأسه شغفًا بإجابة النداء، لم نعرف أبدًا أن البدر يظهر الواحدة ظهرًا، لم يخبرنا أحدًا أن البدر في أصله امرأة في زهو العشرينات ترتدي معطفًا من القطيفة البنية ووشاحًا من الأبيض حول عنقها، من أين يعرفني كل هذا الجمال؟

أجاب بارتباك بعد صمت أفكاره، أهلًا وسهلًا.

- كيف حالك يا "إسلام"
- بخير كثير، لا أحد يسمع تلك النبرة من هذا الجمال ولا يكون بخير، اعذريني، يختلط علي الأمر، هل تقابلنا سابقًا!!
- تقابلنا سنوات، لكنك لم ترني منذ زمن رحل، لم أعطلك طويلًا كما حدث بالماضي، أنا هنَّا من أجل الاحتفال بكتابي الذي وعدتني منذ سنوات أن نحضر توقيعه معًا، قصة حب تحطمت بالتأكيد لكن الوعود لا تموت بالفراق، أعلم أنك لن تقرأ الكتاب ولو قرأته لعرفت كل شيء من أولى صفحاته، ربما أصررت أن تكون هديتي لك مجهولة لأستحوذ على تفكيرك دقائق، لينشغل عقلك بأمري حتى وأنا مخبأة على الجهة الثانية من لغز مجهول، دقائق منحتني السعادة عوضا عن كم

السنوات التي تجاهلتني فيها عمدا أو دون قصد، لتخلف في قلبي آلاما مزمنة.

أرجو أن يكون ذوقي في الساعة قد نال رضاك، ستكون الميدالية مناسبة جدًا لمفاتيح السيارة الجديدة، أعرف أن القراءة ليست من اهتماماتك لكنها كل ما أملك وكل ما أحب في الحياة، سررت بإقامتي القصيرة في عقلك.

بالمناسبة، لماذا دومًا نكتب لأشخاص لا يجيدون القراءة!! ولو قرأوا لم يستطيعوا فهمنا!!

"هل يمكن للسنين أن تكون بمثل هذه القسوة!! تخدعنا بالنسيان وتوهمنا بالشفاء والتئام القلب ثم تمر وتدير لك ظهرها كاشفة عن ضحكة سخرية منك سذاجة اعتقادك فتذكرك بعمر مضى كأنه الأمس!!"

صدمة أصابته في قلبه فرد بنفس الهدوء المستفز، ألم أخبرك في أخر لقاء بيننا استحالة اكتمال قصتنا نظرًا لعدم وجود النية!!

تجيبه بصمت حديثها وترقرق عينيها.

عذرًا يا سيدتي، موعد جلستي وللأسف الشديد، أحيانًا يغادر المرء تاركًا قلبه لا لشيء سوى أنه لم يعد ينفع بعد الفراق ولا سبيل أبدًا للبقاء، كل الأشياء تتغير إلا الثلاثاء بقسوته، الساعة تضيق جدًا على معصمي ولا عهد لي بالقراءة ثم ماذا يفعل العطر الغالي لملابس لا تجف من العرق، سررت برؤيتك وأعتذر بالانصراف نظرًا لعدم وجود النية في البقاء.